الطّيّب غنايم *

حواران برسم «الربيع العربي»
مع مثقفين شابين إسرائيليين من أصول شرقية

تعريف

كان الهدف من هذين الحوارين مع الشاعرين والناشطين الاجتماعيين الإسرائيليين الشابين ماتي شموئيلوف وألموج بيهار، وكلاهما من أصول شرقية، هو بالأساس استشفاف رأيهما إزاء ثورات «الربيع العربي» وتداعياتها عليهما وعلى هويتهما الثقافية والسياسية، لكن سرعان ما انتقل الحوار معهما إلى مواضيع أخرى تتعلق بنتاجهما، والمشهد الثقافي في إسرائيل، وغير ذلك من قضايا ومسائل.

١- عروبتي ويهوديّتي لا تتناقضان

حوار مع الشّاعر والنّاشط الاجتماعيّ الشّاب ماتي شموئيلوف

«نحن إسرائيليون وأحفاد وذريةُ ليهود عاشوا منذ مئات بل آلاف السنين في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث ساهم آباؤنا وأمهاتنا في تطوير ثقافة المنطقة، وكانوا جزءًا لا يتجزّأ منها. هذا هو الحال بالنسبة لنا نحن أيضًا؛ فالثقافة العربية الإسلامية والشعور بالانتماء المتجذّر في نفوسنا، هما جزء لا يتجزأ من هويتنا ونظرتنا لذاتنا. نحن نحسّ بانتماء عميق للموروث الديني والثقافي واللغوي التابع للفضاء والواقع الشرق أوسطي والشمال إفريقي، على الرغم من أننا قد «نُسينا» أو تم التناسي بأننا تابعون لهذا التاريخ وهذا المجال: بدايةً من طرف إسرائيل، والتي تتخيل نفسها بأنها واقعة بين قارة أوروبا وأميركا الشمالية؛ وثانياً من

* شاعر ومترجم- باقة الغربية. القصائد المنشورة داخل الحوارين هي من ترجمة المحاور.

ماتي شموئيلوف

طرف العالم العربي، الذي وكما يبدو لنا قد قبل في العديد من المناسبات بهذا الانشطار وهذا التضادّ بين العربي واليهودي وسلم بتخيل اليهودي على أنه غربي أو أوروبي، وآثر تناسي – أو قل دفع– التاريخ اليهودي– العربي جانباً، باعتباره جزءًا ثانويًا بالنسبة له، أو كأنه لم يكن أصلاً جزءاً من تاريخه.... هذا العصر الذهبي لا يمكن أن يحصل من دون تجذر المواطنة الحقّ والديمقراطية بما تعنيه من التداول السلمي للسلطة وسيادة دولة القانون وضمان الحريات واحترام الأقليات والعدالة الاجتماعية والمحاصصة العادلة لثروات ومقدرات الدول بين أفراد شعبها، وتساوي الفرص في التعليم ومساواة النساء بالرجال وقبول الناس أجمع على اختلاف معتقداتهم وألوان بشراتهم ووضعهم الاجتماعي وموروثهم الثقافي وجنسهم وميولهم الجنسية وطوائفهم وأعراقهم ولغاتهم، كجزء لا يتجزأ من مساعينا لبناء هذا المجتمع الجديد الذي نصبو له جميعاً. نحن ملتزمون بمساعينا في تحقيق أهدافنا هذه، وفي استمرار الحوار الدائم بين كل مواطني المنطقة، وبحوارنا أيضاً مع فئات ومجموعات يهودية أخرى في البلاد وخارجها». [من وثيقة روح جديدة، التي وَقَّعَ عليها أكثر من خمسين كاتبًا وأديبًا يهوديًا من أصول شرقيّة][1]

وُلِدَ ماتي شموئيلوف في مدينة حيفا، العام ١٩٧٢، لوالدين من أُصُول عراقيّة. يسكن في مدينة تل–أبيب. حاصل على اللقب الأوّل من جامعة تل أبيب في المسرح، وعلى اللقب الثّاني في التّاريخ العامّ من جامعة حيفا. يعدّ لنيل الدّكتوراه من الجامعة العبريّة في القدس. دَرَّسَ في كلية منشار للفنون. يعلّم كتابة إبداعيّة في ورشات بإرشاده. يكتب في جريدة «يسرائيل هيوم». ناشط في كثير من الجمعيّات التّطوعيّة الشّبابيّة الاجتماعيّة. أصدر حتّى الآن ثلاث مجموعات شعريّة، حرَّر عدّة مختارات شعريّة، عمل محرّرًا في عدّة مجلاّت من بينها «هكيفون مزراح».

سـؤال: مـن مكانِك ومكانتِك فـي المشهد الشّعريّ الإسرائيليّ الشّابّ، وانتمائك إلى ثلّة معيّنة من تيار الشّعر الاحتجاجيّ، وددتُ لو نبدأ حديثنا عن شعر الاحتجاج، الشّعر كـأداة اجتماعيّة، وعن التّنافر- التّجاذب ما بين الأخلاقيّ والجَمَاليّ في الشّعر؟

جواب: بدأ شعر الاحتجاج يتبلور لديّ فقط مع صدور مجموعتي الشّعريّة الثّانية، والتي صُوحِبَت بوعي فكريّ سياسيّ، اجتماعيّ وعرقيّ، حيث فُزْتُ بجائزة صندوق الثّقافة التي تمنحها بلديّة حيفا في مجال الشِّعر، كان ذلك العام ٢٠٠٦، وفي أعقاب هذا الفوز، خابَ أملي بإيجاد دار نشر تقوم بنشر مجموعتي الأُولى، والتي عَنْوَنْتُها «بين شموئيلوف وبين حزاز»، عودةً إلى اسمي عائلتَي في سورية والعراق. في الوقت الذي لم أَجِد فيه ناشرًا يطبعُ كتابي الأوّل، اتّخذتُ قرارًا بطباعة الكتاب في دار نشر خاصّة (دار نشر يارون جولان) بإمكانيّاتي الذّاتيّة، وحينها سأُهدي كتابي إلى غَضَبِي، وسأكون حرًّا في المضامين، بمفهوم هويّتي اليهوديّة العربيّة، حيث عاشت عائلتي طيلة أكثر من ألف عام داخل العالم العربيّ، فيه أنتَجَت، وَتَفَاعَلت وتَأجَرَت واندَمَجت. هكذا كانَت انطلاقَتي الشّعريّة. في تلك الفترة كنتُ أعمل في «القوس الدّيمقراطيّ الشّرقيّ» (هكيشت هديموقراطيت همزراحيت) والتي يظّنها الكثير مؤسّسة تُعْنى بقضايا اليهود الشّرقيّين فقط، وهو أمر غير صحيح، حيث أنّ هذه المنظّمة عمليًا تسعى إلى خلق معادلة متكاملة وجديدة فيما يتعلّق بالعلاقات والقيم بين الدّولة وبين المجتمع، بالمفاهيم الاجتماعيّة والاقتصاديّة أيضًا.

في السّنة ذاتها (٢٠٠٦)، دُعِيتُ إلى مهرجان المطلّة للشعر، أحد أهمّ المهرجانات الشّعريّة في البلاد. كانَ اشتراكيّ محطّ أنظار ولاقيتُ انتقادًا وتهجّمًا حادّين، وذلك لمضمون قصيدة قرأتها، تتحدّث عن أخلاقيّة الحديث عن الكارثة اليهوديّة، في الوقت الذي نقوم نحن أنفسنا بقمع شعب آخر! هذه المقارنة أقامت الدّنيا ولم

١. للوثيقة كاملة، يمكنكم تصفّح العنوان:
http://arabjews.wordpress.com

يحمل الشّعر في إسرائيل رسالة مزدوجة، يحمل الجَمَالِيّ ويحمل المضمون السّياسيّ، فعلى سبيل المثال لا يمكننا ألاّ نحتجّ ضد النيوليبراليّة التي تُخَصْخِصُ كلَّ ما حولنا من موارد، لا يمكننا ألاّ نحتجّ ضد قمع الفلسطينيّين داخل إسرائيل، بالضّبط كما لن نقبل أن تظلّ إسرائيل جسمًا غريبًا في الشّرق الأوسط. أنا كإميل حبيبي، أحمل بطيختين بيد واحدة، بطيخة الأدب وبطيخة السّياسة. لا أستطيع التّنازل عن أي عنصر من هذين العنصرين.

تقعدها، أثرت غضبَ الجميع تقريبًا.

في العام نفسه، باشرتُ بتحرير مجلّة «هكيفون مزراح» (الاتجّاه، شرقًا) حيث حَرَّرَت الأعداد ١٢–١٥ بالتّعاون مع المحرّرة بت شاحر جورفرنكل. في هذه المنبر المهمّ قمتُ بطرح قضايا مهمّة وجوهريّة لكافّة شرائح المجتمع الإسرائيليّ، ففي العدد ١٢ على سبيل المثال لا الحصر، قمنَا بالتّطرق لقضيّة التّمازج الثّقافيّ فمنحنا العدَدَ العنوان «يُطْلِقُون اسمكَ بلغاتٍ كثيرة».

ومما جاء في افتتاحيته:

«يبحث هذا العدد في الهُجَانَة، أي في الشّكل الذي تلتقي فيه ثقافتان – أو أكثر –، ثقافتان غير متناغمتين ولا متشابهتين على الصّعيد القوميّ، الاجتماعيّ، المجتمعيّ، العائليّ أو الشّخصيّ: تسكنان قسريًّا بعضهما مع بعض داخل جسم واحد. وعلى الرّغم من أنّ الهُجَانَة هي مصطلح نظريّ، إلا أنه يقوم بتمويل تنظير ثقافيّ متطوّر (خاصّة في الحقل المعرفيّ المُسَمَّى ما بعد الكولونياليّة)، كما أنّه في الواقع اليوميّ يتحوّل لأجزاءٍ مكوّنة من ممارسات وجوديّة ملموسة للغايّة، وصراعات تتعلّق بالشّكل الذي يشابه به البشر والمجتمعات الصّراعات اليوميّة الصّارمة وأُحاديّة المعنى».

وفي العام ٢٠٠٨ حظيت بدعوة مهمّة لإعداد أنتولوجيا للشعر الطَبَقِيّ، شَرَتها كل من مجلات «إتجار» (تحدّ)، «معيان» (نبع) و«هكيفون مزراح» (الاتّجاه، شرقًا). كنتُ محظوظًا بالمشاركة في صناعة مثل هذه الأنتولوجيا، التي أطلقنا عليها اسم «حمراء»، والتي حرّرها شعراء عرب ويهود، بمشاركة وتعاون كاملين. هذه المختارات أثارت اهتمام النّقاد وأثارت أصداء إيجابيّة. نَجَحت الأنتولوجيا أيضًا في مجال المبيعات، حيث بعنا العدد بقيمة ٢٠ شيكلاً، بالضّبط كتسعيرة ساعة العمل في إسرائيل.

بعنَا آلاف النّسخ من هذه الأنتولوجيا، لكننا شدّدنا على ألاّ نبيعها في أكبر شبكتي كتب داخل إسرائيل، ستيماتسكي وتسومت سفاريم، احتجاجًا على احتكارهما سوق الكتب داخل إسرائيل، بعنا نسخًا في المظاهرات والاحتجاجات والأُمسيات الشّعريّة، وأيضًا كانت هناك طلبات شخصيّة لشراء المختارات.

سؤال: زمالتك مع هذه العيّنة بالذّات من الشّعراء الملتزمين وحاملي الأجندة تؤتي أكلها، حيث يبدو وكأنّ اللقاء بينكم يحثّكم على إصدار المزيد والمزيد، نتاجًا أدبيًا متلاحمًا مع السّياسيّ؟

جواب: بعد «حمراء» فكّرت أنا وتشيكي[٢] ما هي الخطوة القادمة في برنامجنا الإصداراتيّ الأدبيّ–السّياسيّ، كيف يمكننا أن نكّلل نجاحنا بنجاح آخر. تَزَامَنَ تفكيرنا هذا مع مظاهرات للنّادلات العاملات في كافيتيريا جامعة تل أبيب على خلفيّة أُجُور غير ملائمة، أجريتُ اتّصالاً لأسألهنّ إن كنّ يوافقكن على تلقّي دعم منّا، نحن الشّعراء المحتجّين، فوافقنَ بترحاب. بعد انضمامنا لاحتجاج النّادلات بيومين فقط، استطعنا أن نرفع من الحدث إعلاميًا وأن نسلّط الأضواءَ عليه، الأمر الذي أرغَمَ المُشَغِّلَ أن يتساومَ مع النّادلات ويزيد من مستحقاتهنّ.

وبعد ذلك أسّسنا جريلا تربوت (عصابة ثقافة) وهي منظّمة غير ربحيّة، شعريّة احتجاجيّة، حيث قمنا بتوظيف الشّعر أداةً تَقُومُ بالتَّحْريض، بالفعل، بالممارسة، فأقمنا وشاركنا بمظاهرات في كلّ من الشّيخ جرّاح في القدس، الرّملة واللد، قرية دهمش، قرية العراقيب، قرى متاخمة للجدار الفاصل، والكثير الكثير من الفعّاليّات التي كَلَّلَت الشّعر تاجًا لها.

يحمل الشّعر في إسرائيل رسالة مزدوجة، يحمل الجَمَالِيّ ويحمل المضمون السّياسيّ، فعلى سبيل المثال لا يمكننا ألاّ نحتجّ ضد النيوليبراليّة التي تُخَصْخِصُ كلَّ ما حولنا من موارد، لا يمكننا

٢. روعي تشيكي أراد: شاعر، محرّر، ناشط اجتماعيّ وصحافيّ. محرّر مجلّة معيان الأدبيّة الفكريّة، من مؤسّسي «جريلا تربوت» (عصابة ثقافة) التي يشترك بها شموئيلوف وآخرون.

نَجَحْنَا بخلق منبر مسرحيّ شعريّ وإيجاد فضاء/ منبر في أماكن تسُودها الصّراعات والاحتجاجات. إلى تلك النّقطة قمنا بتوجيه بوصلتنا. ويا للمفارقات، في وقت لا تُبَاع فيه المجموعات الشّعريّة بأكثر من ٥٠٠ نُسخة في أفضل الأحوال، نَجحْنَا نحن، أن نقوم بتوزيع رائع لكافّة إصداراتنا، من مجلاّت، مختارات شعريّة، كُرّاسات مختلفة.

هذه معتقداتي، هذا ما أؤمن به، أعتقدُ أنّ الشِّعْرَ في إسرائيل لن يتواجدَ دون السّياسة، أو بكلمات أُخرى لن تتمّ الجماليّة في المشهد الشّعريّ الإسرائيليّ دون السّياسة.

ألاّ نحتجّ ضد قمع الفلسطينيّين داخل إسرائيل، بالضّبط كما لن نقبل أن تظلّ إسرائيل جسمًا غريبًا في الشّرق الأوسط. أنا كإميل حبيبي، أحمل بطيختين بيد واحدة، بطيخة الأدب وبطيخة السّياسة. لا أستطيع التّنازل عن أي عنصر من هذين العنصرين.

سؤال: الشّعراء والفنّانون اليهود الذين شاركوا في مثل هذه التّظاهرات، هل يمثّلون الشّارع الإسرائيليّ، أو على الأقلّ الحركة الشّعريّة الشّابّة؟

جواب: هذه الفعّاليّات لم تقتصر على تيّار واحد، على الرغم من تأسيسنا نحن هذه المنظّمة، إلاّ أنّ كثيرًا من الشّعراء من تيّارات شعريّة أُخرى ومن انتماءات حزبيّة سياسيّة أقلّ أو أكثر راديكاليّة منا، كلّها شاركت، لكننا جميعًا، على اختلاف تيّاراتنا ومذاهبنا وانتماءاتنا، نَجَحْنَا بخلق منبر مسرحيّ شعريّ وإيجاد فضاء/ منبر في أماكن تسُودها الصّراعات والاحتجاجات. إلى تلك النّقطة قمنا بتوجيه بوصلتنا. ويا للمفارقات، في وقت لا تُبَاع فيه المجموعات الشّعريّة بأكثر من ٥٠٠ نُسخة في أفضل الأحوال، نَجحْنَا نحن، أن نقوم بتوزيع رائع لكافّة إصداراتنا، من مجلاّت، مختارات شعريّة، كُرّاسات مختلفة.

هذه معتقداتي، هذا ما أؤمن به، أعتقدُ أنّ الشِّعْرَ في إسرائيل لن يتواجدَ دون السّياسة، أو بكلمات أُخرى لن تتمّ الجماليّة في المشهد الشّعريّ الإسرائيليّ دون السّياسة.

أقاطعُ شموئيلوف، سائلاً إيّاه عن أيّ مفهوم سياسيّ يتحدّث، فيقول:

«سياسة بمفهوم الهويّة. هويّةٌ تُولَدُ داخلها، وتُطَوِّرُها، فعلى سبيل المثال، في حالتي، أنا أتحدّث عن هويّة رجل، شابّ، يهوديّ، أنتمي إلى طبقة اجتماعيّة اقتصاديّة معيّنة. عليك أن تكتب من هويّتك، وألاّ تلتزم بحدود مسبقة أقرّها المجتمع، بل المساءلة والنّبش في هويّتي وتعانُقها مع هُويّات أُخرى».

سؤال: تنعكسُ هذه الحلقات المتداخلة في هويّتك، بشكل جليّ في مجموعتك الأخيرة «لماذا لا أكتب غَزَلِيَّات إسرائيليّة»؟

جواب: أكثر من ذلك، فقصائدي تمّ التّعامل معها وتصنيفها بشكل مسبق على أنّها قصائد داعمة للعرب وللمسلمين، في قصائدي أكتبُ مواقفي وأعبّر عن غضبي وأرسم تصوّري للمستقبل في البلاد. الأمر ليّ يأتي بوعي وبلا وعي.

على سبيل المثال، اقرأ قصيدتي «ملائكة بابل» في مجموعتي الشّعريّة الأولى، «بين شموئيلوف وحزاز»، تجد فيها وجهتي ومفهومي لهويتي في هذا المدى الجغرافيّ الذي نحيا. أتوبيوغرافيا أوّلاً، ثانيا بابل هي عراق، عراق الموطن الذي وُلِدَ وترعرع فيه آبائي وأجدادي، ثالثًا وَحَّدْتُ ما بين جنين ومدينة حولون، إضافةً إلى التّناصّ الذي أعملته في هذا النّصّ مع قصيدة «لربما» للشاعرة راحيل، أمّا الجَرّة، فهي تلك الجرّة المقبورة فيها ذكرياتي في موطن آبائي، كمن يحرقون جثّة ويضعون رمادها في قارورة، أقصد بذلك أنني أنتمي إلى أُمّة عربيّة. هل تفهم ذلك؟

سؤال: ما هي ماهية هذا الانتماء؟

جواب: ليس شرطًا أن يكون انتمائي عِرْقِيًّا أو كوني داعمًا للأُمّة العربيّة، وإنما بأبسط المفاهيم، مفهوم الواقع البسيط والمركّب، واقع فيه جدّتي عراقيّة، قدمت من العراق وذكرياتها مستلّة من الفضاء العربيّ، العربيّة العراقيّة هي لغة أُمّي.

ليس شرطًا أن يكون انتمائي عِرْقِيًا أو كوني داعمًا للأُمّة العربيّة، وإنما بأبسط المفاهيم، مفهوم الواقع البسيط والمركّب، واقع فيه جدّتي عراقيّة، قدمت من العراق وذكرياتها مستلّة من الفضاء العربيّ، العربيّة العراقيّة هي لغة أُمّي.

النقطة التاريخية المفصلية لدي هي ١٩٤٨ وليس ١٩٦٧

سؤال: كيف يمكنك أن تقول إنّ العربيّة هي لغة أُمّك على الرّغم أنّك لا تتقنها؟

جواب: لا حاجة لأن أتقنها، فأنا أقصد أن لغتي الأم هي عربيّة لأنّ أُمّي وأبي تَحَدَّثَا العربيّة العراقيّة معًا في البيت، وكذلك جدّتي وأُمّي، كلّهم تحدّثوا العربيّة كلغة أُم، وأنا كمُسْتَمِعٍ حُرِمْتُ تعلّم هذه اللغة لأنها كانت جزءًا من العالم العربي المسلّم الذي توجّب التخلّص منه والتّنكّر له في إسرائيل وتبنّي وُجْهَة أخرى – غربيّة. أمّي هي حلقة الوصل بيني وبين العربيّة. فلا يمكنك مقارنتي بكاتب أشكنازيّ مواقفه داعمة للفلسطينيّين، أنا أكتب وأعبّر عن مواقفي كابن للحضارة العربيّة الإسلاميّة. الأمر ليس متناقضًا، خسارة أن يتمّ تفسيره من منطلقات سياسيّة ضيّقة، حيث أن هويّتي وموقفي هما نتاج تمازج وتداخل بين حضارتين عربيّة ويهوديّة، ولا تخيّروني بين عروبتي وبين يهوديّتي. فعروبتي ويهوديّتي لا تتناقضان، وأرفض أن أختار حلقةً واحدة من بينهما. هذا مكان سائل، حدوده متداخلة، غير واضحة، قابلة للتمدّد والتقلّص، هذه حدود لا يمكنني أن أرسمها بشكل مضبوط بين يهوديّتي وعروبتي، بين العرب واليهود، بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين. هذه الهويّة أعمق من كليشيهات دولتان لشعبين، و»أنا يهوديّ أعترف بدولة فلسطينيّة وأُعَرِّف كداعم للفلسطينيين». يدور الحديث عن الهوية بتفاعلاتها العميقة المركّبة. للوهلة الأُولى يمكن أن نقول أن واليّ قَدِمَا إلى البلاد على متن طائرة، إلاّ أنّه يمكن القول أنّنا من ذات الفضاء والحيّز، فطالما كانت عائلتي في الشّرق الأوسط.

من يريد أن يكتب ويتحرّر من الأخلاقيّات في تيمات كتاباته، فليفعل، كلٌّ حرٌّ في هذا العالم، أمّا بالنّسبة لي أنا شخصيًا، في ظلّ واقع أليم ومتطرّف في بلادنا، وفي ظلّ الاحتلال، الحروب، الفروقات الطّبقيّة الكبيرة، في ظلّ مشاكل الهويّة العميقة، كيف يمكن ألاّ تكتب عن السّياسة، ومن يفعل ذلك، فحسب رأيي في موقفه نوع من الهروب، على الرّغم من أنني لا أتّهم، لكنني لست راضيا عن هذا النّوع من الكّتاب، فحتّى لو كنت أشكنازيا، أظّنني كنت سأكتب بنفس الطّريقة عن ذات الموضوعات. النقطة التاريخيّة المفصليّة لديّ هي العام ١٩٤٨ وليس ١٩٦٧، في العام الذي تمّ فيه تجميع عرب حيفا داخل غيتوهات في المدينة التحتا، فبعد أن انكشفت على الرّواية الفلسطينيّة لا يمكنني أن أظلّ لا مبالٍ وأن أواصل التّجاهل، وأن أكتب الغزليّات.

سؤال: كيف انكشفتَ على الرّواية التّاريخيّة الفلسطينيّة؟

جواب: أظّن الأمر ابتدأ حينما كنتُ في الخدمة الإلزاميّة للجيش الإسرائيليّ، قامُوا بإرسالنا لحماية مستوطنين، في قلب الضّفّة الغربيّة، وحينها بدأتُ أفهم أنّ الواقعَ مجنونٌ، واستوعبتُ أنّ خدمتي غير أخلاقيّة، فذهبتُ إلى الضّابط المسؤول عن الكتيبة، وقلتُ له إنّه في حال لم يسرّحني من الخدمة في الضّفّة الغربيّة، سأقوم باستصدار أمر إعفاء بحجّة مرض الشّقيقة (الميغرينا)، فقام بإرسالي إلى الثّكنة العسكريّة للحراسة. هذه من جهة واحدة.

من جهة أُخرى، حينما باشرتُ دراسة علم الاجتما ع السّياسيّ، للقب الثّاني، قرأتُ الكثير الكثير، واطّلعتُ على مؤلّفات مهمّة في حقل النّقد، إضافةً إلى أنّ نصيبي كان رائعًا حيث حظيتُ بمعلّم مثل إيلان بابه، الذي كانَ يدرّسنا في الجامعة، وكان يقترح على طلاّبه تدريسهم وإكمال نقاشاتهم في بيته. اقتنصتُ الفرصة ودرست عند بابه سنةً كاملةً في بيته، قرأ لنا نصوصًا في غاية الأهميّة، كشَفَنَا على شهادات للفلسطينيّين من العام ١٩٤٨، أطلعنا على خطاب كامل لم ندرسه في المدرسة. فهمتُ لماذا يسكن العرب وادي النّسناس، فهمتُ أنّ فلسطين احتوت على مراكز مدينيّة مهمّة كحيفا، يافا، نابلس والخليل، ولم تكن «بلادًا بلا شعب، لشعب بلا بلاد».

سؤال: أحد الحقول التي تمتاز بها كشاعر، هو ارتباطك الوثيق مع عالم الإنترنت، ابتداءً من مدوّنتك[٣] (مطلوب

٣ http://matityaho.com/

أنا إنسان يؤمن بالدّيمقراطيّة، إذا كان العربُ أكثريّة فليتسلّموا مقاليد الحكم، هذا ردّي على من ينعتني بالخائن! لا يمكن لأقليّة (الأشكنازيّة) أن تظلّ حاكمة للبلاد، بسبب قوّتها، يجب أن نقول هذا عاليًا، خُذ مثالاً جنوب إفريقيا وسياسة الفصل العنصريّ التي تمّ كسرها عبر الإصرار، ربّما ما زال نفوذ البيض أكثر من السّود حتّى اليوم، إلاّ أنّهم تغيّروا ثقافيًا وديمقراطيًا.

رقم ٢) مرورًا بتوثيق فعاليّاتك/م عبر التّصوير، وفي مجلّة TimeOut التّل-أبيبيّة اختاروك من بين ٥٠٠ شخصيّة مؤثّرة في الفضاء الثّقافي-السّياسيّ؟

جواب: حظيتُ بأن أفهم عالم الإنترنت، لا برمَجَةً، وإنما مضمونيًا، أستخدمُ هذا الأمر لكي أعبّر عن أمور لا يمكن للصحافة المكتوبة أن تستوعبها، أنا لا رقيب لي في هذه الفضاءات، حتى «الشاباك» (المخابرات الإسرائيليّة) لا يمكنه أن يشطب معلومات من مدوّنتي، لأنّه في حال إعلاء معلومات للشبكة الإنترنتيّة، لا يمكن استلالها ثانيةً. على الرغم من كتابتي في جرائد مختلفة، إلا أنّ المدوّنة تبقى المكان المفضّل ليّ حيث الحرية والقوّة على خلاف باقي المنابر. قوّتنا اليوم كبيرة، الإنترنت هو المكتبة الجديدة، ومن يدأب على تحديث صفحته/ مدوّنته/ موقعه سيكسب كثيرًا من هذا التّواصل. بالنسبة لمجلّة «تايم أوت»، كان تعريفهم لي جميلاً: «يطلقُ النيران لكل صوب، ويكاد يصيب»، هذا صحيح، أنا أنتقد وأكتب وأتفاعل في جميع الجهات. لكنني أنظر إلى نفسي أيضًا بعين ناقدة.

قمّة الزّيارات لفعاليّاتنا الإنترنتيّة كانت «روح جديدة»، والتي استقطبت زوارًا من جميع أرجاء العالم، عربًا يهودًا وأجانب، تلقّينا الكثير من الترحاب بالفكرة، انكشفنا على عوالم أخرى جديدة، من جهات لم نكن مطّلعين عليها. الإنترنت يتعدّى الخطوط والحدود.

سؤال: إلى أين تسعى عمليًا عبر مشروعك الأدبي-السّياسيّ، وأيّ تَصَوُّر مستقبليّ يمليه عليك هذا المشروع؟

جواب: تصوّري هو أن يتمّ التقاء بين الشّعبين، لا حاجةَ لخلق نظامين سياسيّين في بقعة صغيرة، يمكننا أن نندرج تحت إطار واحد، يكون فيه مكانٌ ومشَّعَ للجميع. أنا لا أعلم ما هي الصّيغة المثلى، لربما اتّحاد، ما أطمحُ إليه هو حدود كحدود أوروبا، حدود غير معيقة. أنا إنسان يؤمن بالدّيمقراطيّة، إذا كان العربُ أكثريّة فليتسلّموا مقاليد الحكم، هذا ردّي على من ينعتني بالخائن! لا يمكن لأقليّة (الأشكنازيّة) أن تظلّ حاكمة للبلاد، بسبب قوّتها، يجب أن نقول هذا عاليًا، خُذ مثالاً جنوب إفريقيا وسياسة الفصل العنصريّ التي تمّ كسرها عبر الإصرار، ربّما ما زال نفوذ البيض أكثر من السّود حتّى اليوم، إلاّ أنّهم تغيّروا ثقافيًا وديمقراطيًا. الثّوابت اليهوديّة هي السّكن والشّعور بأمان دون تهديدات وجوديّة.

وأحلمُ بكتابة هجانة بين العربيّة والعبريّة، عرب يكتبون عبريّة جديدة ويهود يكتبون عربيّة أُخرى، أحلم بإدخال كلمات من اللهجة العراقيّة إلى أغنيات وقصائد.

في المستقبل، أعتقدُ أنّ أعمالنا وأحلامنا ستؤتي أكلها وسننجح.

نماذج من أشعار ماتي شموئيلوف صناعة الإسرائيليّة

لا تُحَدِّثُنِي عن الكَارِثَة *

بينما تعذّبون الشّعب الفلسطينيّ المُحْتَل

لا تحدّثوني عن الكارثة

بينما تميّزون الفلسطينيّين – الإسرائيليّين

لا تحدّثوني عن الكارثة

بينما تنسون فَرَحَ الفقراء والمستضعفين

لا تحدّثوني عن الكارثة

بينما تولولون كالقرَدَة على ملاعب كرة القدم ساعَةَ

يمسّ الطّابة لاعبون أثيوبيّون

لا تحدّثوني عن الكارثة

بينما تلقّبون الرّوسيّين نَتِنينَ ولزوجاتهم تقولون زانيات

لا تحدّثوني عن الكارثة

بينما ترفضون دخول الهويّة الشّرقيّة لمقرّرات التّدريس

الرّسميّة

لا تحدّثوني عن الكارثة

بينما تملكون سلاحًا نوويًّا

لا تحدّثوني عن الكارثة

بينما تبيعون سلاحًا فتّاكًا لكلّ سائل

لا تحدّثوني عن الكارثة

لأنهم لم يموتوا تضحية لهكذا دولة.

---

* المحرقة النازية.

نصف دمعة من ديمونا

إلى آلاف السّجناء الفلسطينيّين المسجونين تحت حزن إداريّ

سمعتُ دويّ انفجار هائل، يصيرُ

أنغامًا بطيئةً طويلةً، حين

يولدُ نَفَسُ اليائس.

للفضاءات لم أختَرْ حدودًا

للشوارع لم أختَرْ اسمًا

بئرًا هي التي اخترتُ، وقفتُ

بها

ملائكة بابل

شُعُورُ لَزِج

إرهلصَة

خَلْفيّة المُجَمَّعِ التّجاريّ جنين- حولون *

التي كانوها وكُنتُها

أو أنّي طافِحُ بقارورةٍ من رماد من عظام

أُمَّة عربيّة

---

* مدينة جنوب شرقيّ تل أبيب.

زهرة الإسلام

ظِلُّ العربسك

يسقطُ على النّقب والجليل

تنامُ الجبال

أَسْوَدُ بحرُ المَوْت.

هَا شْعرٌ يَتَرَتَّب*

ها لغة عاجزةٌ عن الاستراحة في مَجَازٍ مُرِيح

ثَانيةً يتمَزَّقُ تشبيهُ

لُغَةٌ تَتَكَثَّفُ

عَبرَ الرّفض، المشاركة، الانفعال المتواصل

تستفزُّ وتخترقُ

---

* قصيدة كُتِبَت خلال مظاهرة شعريّة لـ«عصابة ثقافة».

ألموج بيهار

٢- لا يمكن فهم اليهودية من دون معرفة العربية

حوار مع الشّاعر والنّاشط الاجتماعيّ الشاب ألموج بيهار

وُلِدَ ألموج بيهار، في مدينة نتانيا العام ١٩٧٨، لوالدين يهوديّين جَمَعَا كثيرًا من أعراق اليهوديّة، حيث أن جذوره هي عراقيّة– تركيّة– ألمانيّة. من هذه الحلقات التي وُلِدَ داخلها الشّاعر، نَجَحَ في حياكة حلقات أُخرى مجازيّة تتعانق فيها فضاءات ثقافيّة مختلفة ومتنوّعة تتشابك معًا وتتحاور، أحيانًا بحدّة.

حازَ ألموج بيهار العام ٢٠٠٥ على جائزة القصّة القصيرة، تحت عنوان «أنا من اليهود». كَتَبَ قصّته بالعبريّة، عَنْوَنَهَا بالعربيّة. خطوة تعني الكثير في عالمه الشّعريّ والنّثريّ. أصدر حتّى الآن مجموعتين شعريّتين عن دار النّشر المهمّة «عام عوفيد»، «ظمأ الآبار» (٢٠٠٨)، و«خيط معقود في اللسان» (٢٠٠٩) والتي نالَ عنها جائزة برنشطاين للشعر، ومجموعة قصصيّة تحت عنوان «أنا من اليهود» (دار نشر بابل، العام ٢٠٠٨)، وفي العام ٢٠١٠ دَخَل ألموج عالم الرّواية عبر مؤلّفه «تشخلة وحزقل» (دار كيتر، ٢٠١٠). وهو حاصل على اللقب الأوّل في الفلسفة وعلى اللقب الثّاني في الأدب العبريّ. حاليًا يعدّ لنيل شهادة الدكتوراه في قسم الأدب في جامعة تل أبيب.

مسار ألموج بيهار لافت للأنظار، محطّاته أيضًا، من شعر إلى نثر قصصيّ إلى نثر روائيّ، ناهيك عن نشاطه الأدبيّ– السّياسيّ– الاجتماعيّ والذي يكلّله بيهار أيضًا بمدوّنة فعّالة[٤]، توثّق أعماله وتفتح أفقًا للحوار مع القارئ. يستلّ ألموج بيهار من عالمه الشّخصيّ قوّة تنعكس في كتاباته، من أصله الشّرقيّ الذي يشكّل عنده موتيفًا بارزًا في أدبه، إلى أصله الألمانيّ والتركيّ. يتحاور ألموج مع الماضي، لا يستغني عنه، لا عن الماضي اليهوديّ ولا عن الماضي العربيّ (العراق على وجه الخصوص). عن هذه «الخلطة» المميّزة، وعن نكهتها أفتتح حواري مع بيهار، وبالأخصّ عن العلاقة بين اليهوديّة والعوالم العربيّة على المستويين الشّخصيّ والأدبيّ:

«بدايةً، في حياتي الشّخصية توجد ثنائيّة تبدو وكأنّها متناقضة للوهلة الأُولى، ثنائيّة العروبة واليهوديّة، حيث أُمّي لغتها عربيّة، وُلِدَت في بغداد، وترعرعت في حضن الثّقافة العربيّة العراقيّة، بالمقابل الكنيس يحوي لغة عربيّة في كثير من الطّقوس، الكلمات عربيّة في الفضاء اليهوديّ، من جهة ثانية من الواضح أنّ العربيّة التي هي لغة عائلتي في البيت، غير مرغوب فيها في الشّارع الإسرائيليّ، مسكوت عنها، فهي مدعاة للخجل وفقًا للثقافة الجديدة التي خلقوها في إسرائيل. ومن الحوادث المؤثّرة في طفولة والدتي، والتي سرَدَتها لنا طبعًا، بعد قدومها إسرائيل حينما كانت في سنّ الخامسة، جاء مربّي صفّها إلى بيت جدّي وجدّتي (كانت أمي حينها تبلغ من العمر ١٣ عامًا) وطلب من والديها ألاّ تتكلّم العربيّة مطلقًا. فَكِّرْ في الأمر! مذهل. والداها (يعني جدّي وجدّتي) لم يتوقّفا عن تكلّم العربيّة، إلاّ أنّ والدتي توقّفت عن الرّدّ عليهم باللغة العربيّة التي استبدلتها بعبريّة جديدة. أمي شَكَّلت في عائلتنا مرحلة العبور من العربيّة إلى العبريّة، حيث أن أختيها الكبيرتين لم تتنازلا عن العربيّة، أما أختاها الصغريان (وأخوها الأصغر) فلم تتحدّثا العربيّة وتبنّتا العبريّة. كان واضحًا بالنسبة لي هذا الانفصام. في المكان الذي ولدت فيه، لم يكن من السهل علي أن أعترف بذلك الجانب العربيّ من ناحية أصولي، استغرق الأمر كثيرًا من الوقت لأصل إلى وعي ورضا وإصلاح (عبر تعلّم العربيّة).

٤. للاطلاع على مدوّنة بيهار: http://almogbehar.wordpress.com/

يجب أن نعلم أنّ العربيّة هي جزء من اليهوديّة، على الأقل ابتداءً من القرن العاشر. جزء لا يتجزّأ، فكثير من المؤلّفات اليهوديّة المهمّة كُتِبَت بالعربيّة، من جميع الحقول المعرفيّة، ابتداءً من الفلسفة وانتهاء بالشّريعة اليهوديّة، حتّى كتب الألسنيّات العبريّة كُتِبَت بالعربيّة، في كثير من مركّبات اليهوديّة نجد العربيّة، أي لفهم اليهوديّة عليك معرفة العربيّة. العروبيّة صَقَلت اليهوديّة، واليهوديّة صقلت العروبيّة- اليهوديّة.

سؤال: هل فقدان أجدادك وجدّاتك حَثَّكَ على دراسة العربيّة والانكشاف على ثقافتها والمجاهرة بهذا الانتماء؟

جواب: بالتأكيد، كان لوفاتهم الأثر الكبير على تفكيري في الماضي وفي المستقبل. فجأةً اعترتني كثير من الأسئلة التي تتعلّق بالهويّة، ورحت أتساءل عن مستقبل أبنائي وأحفادي، ماذا سيتعلّمون؟ فمن الطّبيعيّ أنهم سَيَتَلَقُّونَ رسالةً سَلْبِيَّةً من بيئتهم حول كلّ ما يتعلّق بالعربيّة. من هنا قرّرت أن أعلّم أبنائي العربيّة، كنوع من الإصلاح لما كُسِرَ. لكنني، وبنوع من تفكير أشمل، آمنت أنّ المهمّة أبعد وأعمق من أن أتعلّم بنفسي العربيّة، يجب أن يتعلّم جميع اليهود الإسرائيليّين العربيّة، ليس الشّرقيّين فقط، بل الأشكناز أيضًا.

سؤال: هل هو نوع من رسالة أو أيديولوجيّة؟

جواب: نعم. حينما يتمّ تشخيص مشكلة، والتي تكون بحدّ ذاتها مرضًا اجتماعيًا، يجب تغييرها. يجب أن نعلم أنّ العربيّة هي جزء من اليهوديّة، على الأقل ابتداءً من القرن العاشر. جزء لا يتجزّأ، فكثير من المؤلّفات اليهوديّة المهمّة كُتِبَت بالعربيّة، من جميع الحقول المعرفيّة، ابتداءً من الفلسفة وانتهاء بالشّريعة اليهوديّة، حتّى كتب الألسنيّات العبريّة كُتِبَت بالعربيّة، في كثير من مركّبات اليهوديّة نجد العربيّة، أي لفهم اليهوديّة عليك معرفة العربيّة. العروبيّة صَقَلت اليهوديّة، واليهوديّة صقلت العروبيّة– اليهوديّة.

بالطبع كلّ ما ذكرت يرتبط مباشرة بالوضع الاقتصاديّ والسياسيّ في الرّاهن. عدا عن موت أجدادي وجدّاتي، سبب آخر لدخولي هذه السّاحة الثّقافيّة هو محاولة فهمي لذاتي ولما يحيط بي، حيث فهمتُ ووعيت لقمع اليهود الشّرقيّين اقتصاديًا في البلاد، الذي ترافقَ مع القمع الثّقافيّ لهم. وعمليًا يتوجّب الأمر إصلاحين وليس واحدًا: الأوّل إصلاح للقمع الاقتصاديّ، والثّاني للقمع الثّقافيّ. نحن اليهود الذين قَدِمنَا من الدّول العربيّة، ثَمَّة ارتباط وثيق بيننا وبين الشّعب الفلسطينيّ وروايته، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يمكنني أن أقول إنّ الفلسطينيين المُرَشَّحُون الطبيعيّون والأوائل كشركاء لخلق نسيج وتواصل مجدّد بين اليهودي– المسلم والعربيّ– العبريّ، والذي تواجَدَ في السّابق، لكن ليس في هذه البلاد، وإنما أكثر في دول مثل العراق، تركيا، المغرب واليمن. كشرقيّ، أحسّ أنّ احتمال استمراريّتنا الثّقافيّة منوط بالكنيس وبالفلسطينيّين. أي استلال القيم من اليهوديّة العتيقة، على خلاف الذّاكرة الثّقافيّة الإسرائيليّة قصيرة المدى التي تنحصر في القرن الأخير، والاتّكاء على اليهوديّة ذات آلاف السّنين، شريعتها، ثقافتها، وعلى الفلسطينيّين، كجار وشريك محاور ومحاوَر. بما أنّ اليهود الشّرقيّين مرّوا بقمع اقتصاديّ ثقافيّ على مدار ٦٠ عامًا، نحتاجُ إلى وسيطٍ معيّن، في حالتنا الوسيط هم الفلسطينيّون، وسيط يعيننا على تخّطي هذا القمع الذي مررنا به. وعلينا أن نتعاون مع الفلسطينيّين في احتجاجنا على ممارسة القمع ضدّهم، من منطلق التّضامن والوعي بأنّنا أصحاب مستقبل مرتبط بالطّرفين.

سؤال: بما أنّ وُجْهَتَكَ هي محور يهوديّة- عروبيّة- شرقيّة، ماذا ترد على المعادين للخطاب الشّرقي المطالِب بإحلال عدل وتصليح ظلم، والقائلين بأن خطابكم يعتمد التّباكي ولا يستشرف المستقبل؟

جواب: أولاً، هذا ردّ فعل إسرائيليّ، فأنا لا أعتقد أنّ ردودًا من هذا القبيل يمكن أن تسمعها من غير إسرائيليّين. أؤمن بحقائق معيّنة، كقمع الشّرقيين اقتصاديًا وثقافيًا، وبتر لغاتهم، كالعربيّة، الكرديّة، الفارسيّة وغيرها، ناهيك عن القمع الثّقافيّ، الاقتصاديّ والسّياسيّ تجاه الفلسطينيّين في إسرائيل، في الضّفة الغربيّة وفي قطاع غزّة. من يشارك في قمع الآخرين،

كما أنّنا نجد الرّبط بين الشّعر والسّياسة في القرن العشرين، أمثال بابلو نيرودا، ناظم حكمت، وبالطّبع محمود درويش. لا أؤمن أن موضوع القصيدة هو ما يجعلها جيّدة أو سيّئة. شاعر جيّد يمكن أن يكتب بجودة عالية عن السّياسيّ أيضًا، السّياسيّ لا يقلّل من الجَمَاليّ. الرّعويّة ليست شَرْطَ الجماليّة. في الشّعر الياباني مقبول جدًا كتابة قصائد حول المرحاض، في الشّعر العبريّ والعربيّ، لن تَجِدَ ذلك. المجتمع يُملي أفْقَ الإمكانيّات لدى الشّاعر.

غالبًا ما نجده يُخفِّف من حدّة أفعاله عبر تصريحات واهية، وعبر ادّعاءات هزيلة كمثل «هؤلاء ليسوا ناجحين»، «هذه معاناة شخصيّة». لا يمكن أن ندّعي أنّ المعاناة هي مشاعر شخصيّة، قالوا ذلك عن الفلسطينيين، عن السود في الولايات المتّحدة الأميركيّة. أوّلاً، يجب الاعتراف بالغُبْن التّاريخيّ، وفقط حينها يمكن حلّه عبر خلق مجتمع مغاير.

قمع الفلسطينيين يختلف كثيرا عن قمع اليهود الشّرقيين، ومن الواضح أنّه أصعب وأقسى، لكنه يختلف عن قمع الشّرقيّين – حيث أنّه في حالة الشّرقيّين تمّ منع الذّاكرة من استرجاع مسلسل القمع، تلك الذّاكرة التي نحتاجها بغية أن نحتجّ، حيث أنّ هذا القمع تمّ «داخل العائلة»، مارسه اليهود الأشكناز ضدّ اليهود الشّرقيّين. لكنني أؤمن أنّه عبر الاعتراف بالغبن الذي حَلَّ بالطّرف الآخر، يجب التّعاون، التّفاهم والتّفهّم والعمل معًا على فضّ العوائق والغبن التّاريخيّ. لا يمكن القول عن هذه الرؤيا بأنّها تَبَاكٍ بل استشراف للمستقبل. نحن نقدّم نوعًا من حلول.

القمع وإن لم يكن بالقوّة نفسها وبالمعايير ذاتها، إلاّ أنّ قاسمًا مشتركًا يوحّد بين اليهود الشّرقيّين وبين الفلسطينيّين، حيث تمّ النّظر إلى كلتا المجموعتين عبر نظّارات كولونياليّة، وما يُسَمَّى في مصطلحات هذا الخِطَاب «الأصلانيّين». هذا الفهم، من ناحيتي، أدّى بي إلى إيماني بوجوب التّعاون المشترك مع الفلسطينيّين، على أمل أنّ هذا الحوار يمكن له أن يكون باتّجاهين وليس باتّجاه واحد.

سؤال: أنت تشارك بشكل منهجيّ ومكثّف يمكنني القول، باحتجاجات، مظاهرات، ورشات. هل النّاشط الاجتماعيّ الذي فيك يُوجّهُ الشّعر أم أن الشّعر يُوجّه نشاطاتك؟

جواب: ربّما أنطلق من الشِّعر ومكانته في اليهوديّة، حيث أنّ كثيرًا من الشّعراء كانوا أنبياء، يمكنني أيضًا أن أدرج مغنّي وكتّاب الأغاني الدّينيّة (بَيْطَانِيم)، كلّهم انطلقوا من مكان واحد، تصليح الأخطاء، الغبن، الإجحاف، محاولة إحلال العَدل، كمثل الأنبياء– الشّعراء الذين وَقَفُوا في وجه الملوك الظّالمين وقالوا كلمة حقّ. أشاروا إلى الأخطاء دون تردّد ودون خوف. جزء من وظيفة المُبدِع المؤلّف هو الإشارة إلى الغُبن، ومحاولة الإصلاح. فعلى سبيل المثال نأخذ الشّاعر اليهوديّ اليَمَنِيّ رابي سالم شبازي، من القرن السّابع عشر، قالَ في أحد قصائده الدّينيّة: «إذا أُغْلِقَت أبواب الكُرَمَاء، لن تُغْلَق أَبْوَاب السّماء»، نملك جميعًا بابًا مشرعًا دائمًا، باب الرّب. القصائد الدّينيّة طالبت بالعدل، وقلبت الترتيب الطّبقيّ، فلا تتردّد بأن تتخطّى مكانة الملك والقاضي وتتوجّه مباشرة لمن هو أعلى شأنا ومكانة، الله.

كما أنّنا نجد الرّبط بين الشّعر والسّياسة في القرن العشرين، أمثال بابلو نيرودا، ناظم حكمت، وبالطّبع محمود درويش. لا أؤمن أن موضوع القصيدة هو ما يجعلها جيّدة أو سيّئة. شاعر جيّد يمكن أن يكتب بجودة عالية عن السّياسيّ أيضًا، السّياسيّ لا يقلّل من الجَمَاليّ. الرّعويّة ليست شَرْطَ الجماليّة. في الشّعر الياباني مقبول جدًا كتابة قصائد حول المرحاض، في الشّعر العبريّ والعربيّ، لن تَجِدَ ذلك. المجتمع يُمْلِي أفْقَ الإمكانيّات لدى الشّاعر، لكن هناك الكثير من الشّعراء الذين نجحوا في توسيع أُفْقِ الإمكانيّات في مخزونهم ووسّعوا الشّعر، كمحمود درويش السّياسيّ، حيث نَجِدُ أنّ الموضوع الشّعري يقوم بتصفية الشّعر، عَبْرَ الالتزام، الأمر الذي يخلق عَظَمَةً شعريّة.

الجواب القصير لسؤالك، هو أنني لا أَجِدُ تناقُضًا بين الشِّعرَ وبين النّشاط الاجتماعيّ. فكما أُشارك في فعّاليّات احتجاجيّة بشكل يوميّ، أكتبُ الشِّعْرَ يوميًّا أيضًا. بالصُّدْفَة الأمران يتزامنان معًا.

«الربيع العربي» قدّم لنا نموذجًا للصراع السّياسيّ الاجتماعيّ

سؤال: هل كانت الثّورات العربيّة، الرّبيع العربيّ، إلهامًا شعريًا نشاطيًا لكَ ولزملائك الشّعراء النّاشطين؟

جواب: بالطّبع، فرسالة روح جديدة، تثبت ذلك. باشرنا بالتّكاتب بشأن هذه الرّسالة مع مجموعة من الكتّاب، بعد انتهاء ثورتي تونس ومصر، وكانت بداية الثّورات في سورية، ليبيا، اليمن والبحرين. كان لهذه الرّسالة سببان، الأوّل أنّنا شعرنا بأن خطاب الإعلام داخل إسرائيل عن الثّورات العربيّة، تعتريه نبرة من الشّك والتّخوّفات والاغتراب تجاهها، وليس من منطلق شعب يقاتل من أجل حريّته. شعرنا، على خلاف الإعلام الإسرائيليّ، أنّه يمكننا، أخيرًا، أن نأخذَ نموذجًا للصراع السّياسيّ الاجتماعيّ، واستيراده لإسرائيل. السّبب الثّاني الذي دَفَعَنا نحو روح جديدة، كان شعورنا أنّ هذه الثّورات يحرّكها جيل شاب يستحقّ منا التّضامن على شجاعته، الذي لم يكن لدينا حتّى تلك اللحظات (قبل قيام احتجاج الخيام في تل أبيب والمدن الإسرائيليّة المُخْتَلفة، المُسْتَوحَى من ميدان التّحرير والرّبيع العربيّ). في الوقت الذي لم نفعل شيئًا احتجاجيًا، ولم نجرؤ على رفع صوتنا، فاجأنا هذا الجيل الشّجاع بثوراته وإصراره، كان مهمًا لدينا إيصال تحيّاتنا وتضامننا لهذه الطّبقة المكافحة. تأتي هذه المحاولة أيضًا في سعي منها لإيقاف عملية المَحْو التي مررنا بها، نحن اليهود الشّرقيّين، تم محونا من خريطة إسرائيل، ومن خريطة العالم العربيّ. هكذا نبني صوتنا من جديد. ذاكرتنا مكلومة، نحاول ترميمها. توّجهّنا كان لكلا الطّرفين، الإسرائيليّ والعربيّ. تلقّينا الكثير من ردود الفعل من العالم العربيّ، حيث أنّه داخل إسرائيل، تَمَّ نشر الرّسالة في منابر إعلام بديلة، مثل مواقع إنترنتيّة مختلفة، لكن في العالم العربيّ، فقد قامت الدّنيا ولم تقعد، ابتداءً من صحيفة «الشّرق الأوسط»، مرورًا بصحيفة «الحياة»، إذاعات من الخليل، غزّة المغرب.

في رسالتنا تذكير لليهود– العرب أيضًا، الذين يحاولون التّنكّر لعروبيّتهم. هذا يذكّرنا جميعًا بعلاقتنا الوثيقة مع العالم العربيّ. هذا اقتراح لحوارٍ مُجَدَّد.

الفلسطينيّون في الضّفّة الغربيّة والقطاع، هم أساس الثّورات، حسب رأيي، بمفهوم معيّن لا يمكن التّحدّث عن عدل اجتماعيّ داخل إسرائيل في الوقت الذي نقمع فيه الفلسطينيّين، كان لنا واضحًا أنّ الخطوة الأُولى من ناحيتنا هي دعم الفلسطينيّين والتّضامن مع نضالهم نحو عدل تاريخيّ.

سؤال: هل تكتب لتحتمي، كما قال الأديب أنطون شمّاس، وأنا هنا أعتمد على ديناميكيّة بطل قصّتك «أنا من اليهود»؟

جواب: الكتابة بالأصل هي علاج قبل كلّ شيء، قبل الهويّة، وقبل الوعي، وقبل الاحتجاجات. الكتابة ساعدتني على فهم ذاتي، وحثّتني على دخول حوار، فالكتابة هي نوع من الحوار، تكتب لنفسك في البداية، وفي النّهاية تنشر ما تكتب. النّشر هو أوّل خطوة في الحوار، إشهار تجربتك ووضعها على المحكّ. الكتابة تفسّر مكانك، تموضعك. الأسئلة المركّبة تدخل كتابتك من السّاحة الخلفيّة، من الأمام، من كلّ صوب أحيانًا. أنا أكتب كي أمنح هويّتي مكانًا داخل الثّقافة، ليس فقط كتابة مقابل الأشكنازي الذي يتنكّر لليهوديّ – العربيّ، بل حتّى للشرقيّين اليهود، خاصّة الجيل الجديد، الذين يتنكّر جزء كبير منهم لأصله العربيّ. أعتقد أنّ حلقات الهويّة لدينا أكثير تركيبًا من حالة شمّاس، لأنّنا مقابل آخر خارجيّ، وآخر داخليّ، من اليهود أنفسهم.

سؤال: هل تكتب لتحتمي، كما قال الأديب أنطون شمّاس، وأنا هنا أعتمد على ديناميكيّة بطل قصّتك "أنا من اليهود"؟

جواب: نحن الكتاب لا نَكْتُبُ نصّنا على صفحة بيضاء، بل على نصوص أُخرى سابقة، نصوص لكتاب آخرين، قد كَتَبُوا. ربما تغار من هذا الكاتب، ربما أنت غاضب عليه، ربما تتماهي معه، ربما تتضامن، الكاتبُ في مُحَاججة ديناميكيّة دائمة. في النّصّ الجديد تعامل دائم مع القديم. وهذا ناهيك عن الجانب الشّخصيّ، الذي يحمل في ثناياه كثيراً من التّاريخ، دون أن نذكر تعاملنا مع شعرك كإنسان شابّ، ينظر بعين فاحصة إلى طفولته، إلى والديه، إلى بيئته، ويرتّب الأوراق من جديد. الماضي هو الزّمن الوحيد الذي نعرفه، حيث أنّنا غير مطّلعين على المستقبل، نكتب عمّا نعرفه. الحاضر للتوّ جاء ولم نكتب عنه بعد، حتّى يصير ماضيًا.

قراءتي لمجموعات درويش الشّعريّة كان لها بالغ الأثر عليّ، أدهشني كيف كَتَبَ رواية شعبه، عبر شخصه أحيانًا، أدهشتني جماليّات النّص لديه ودمجها النّاجح جدًا مع السّياسة. أعجبتني مجابهة درويش الواقع المرير، حالة الحصار التي فَجَّرَت فيه أشعارًا رائعة.

قراءتي لمجموعات درويـش الشّعريّة كان لها بالغ الأثر عليّ، أدهشني كيف كَتَبَ روايـة شعبه، عبر شخصه أحيانًا، أدهشتني جماليّات النّص لديه ودمجها النّاجح جـدًا مع السّياسة. أعجبتني مجابهة درويش الواقع المرير، حالة الحصار التي فَجَّرَت فيه أشعارًا رائعة.

نماذج من أشعار ألموج بيهار

نابلس، ١٩٦٧

ها فدوى طوقان تصمتُ قَصَائِدَ
على عتبة بيتها النّابلسيّ.
بينما ضبّاط الجيش يقفون في باحتها خائفين
متسائلين:
أَلن ينطلق بيت قصيد واحد
من قلم فدوى طوقان
فيجابهنا؟
شهر يعقبه آخر
صَمْتُها يَسْتَطِيلْ
وفي كلِّ بيت وحقل
من المساحات التي احتلّها الجيش
فإنّها تَصْمِتُ قصائدَ
أمام فوّهات البنادقْ.
توجِّهُ كَلِمَاتٍ مِنْ مدادٍ أَبْيَضَ
صَوْبَ فُوَّهَات البنادقْ.
ها فدوى طوقان تصمتُ قصائدَ
داخلَ بيتها النّابلسيّ.
يَقِفُ الجيش في باحتها
وهي تلوّح من شُبَّاكِها
قصائدَ من مدادٍ أبيض.
لا تلملم أغراضها وتسافر نحو الغربة
لكن قصائدها قد صارت غريبةً عنها.
شهر يعقبه آخر

سنتان قبل الصَّخِب

«إمّا أن تكون الكعكة لجميعهم، وإمّا ألاّ تكون كعكة»
سعاديا مرتسيانو (١٩٥٠–٢٠٠٧)
فهد أسود ومقاتل من أجل العدل
كُتِبَت هذه القصيدة سنتين قبل الصَّخَبْ
بينما جلسنا في البيوت، ولفترات
متباعدة خرجنا للتظاهر، وعلى الغالب
لم نغلق الشّوارع، لم نُقْتَدْ للأسر، لم
نشوّش حياة أحد. لن يعاود
تيدي كوليك بالصّراخ نحونا: «أيّها المخربون
ابتعدوا عن النّجيل»، وعنّا لن تقول جولدا:
«هم ليسوا بلطفاء»، ومعنا
لن يتكلّم أحد. بعد أربع سنوات
تقريبًا، حينما نكون بعد الصّخب بسنتين،
لن نذكر لماذا وَاصَلْنَا الجُلوسَ في البيوت،
لِمَ لَمْ نَقُلْ شَيْئًا فظًّا، لِمَ
لَمْ نَصْرُخ، لَمْ نحاول التّظاهر قبل الوقت،
قبل الصَّخَبْ. الآن بالذات يَسْهُلُ الحُبَّ،
سنتين قبل، سَهُلَ الابتسام للحياةِ، سَهْلُ
حتّى أن أَعِدَ باحْتِمَالِ لِقَائِنَا
بَعْدَ انْتِهَاءِ كلّ شيء، سنتين أو أكثر
بَعْدَ الصَّخَبْ